

الدولة والامان

والسكتان المتضادتان ، الشبهتان بالجمع بين الكفر والايان

للسلطان عبد الحميد حسنة عظيمة في البلاد العربية ، لا يصدنا عن الاعتراف بها ، ما قيل من نيته فيها وغرضه منها ، الا وهي سكة الحديد الحجازية . التي كان يظن ويقال انه كان الباعث له على انشائها جعل الحجاز كسائر البلاد العثمانية في الخضوع لحكومته ، والتمكن من سوق الجيوش اليها عند الحاجة ، والمعروف من رأي كثير من رجال الدولة ازالة ايمارة الشرفاء من الحجاز منهم احمد مختار باشا الغازي . ولا يكون ذلك سهلا مأمون العاقبة الا باتمام هذه السكة . وهذا هو السبب فيما اشتهر من معارضة شرفاء مكة لمده هذه السكة بين الحرمين الشريفين . كنا ولا نزال نرى أن هذه السكة من أكبر الحسنات ، على علمنا بما هنالك من الاقوال والظنون والنيات ، ولكن للسلطان عبد الحميد سيئة من جنس هذه الحسنة يزيد وزرها على أجر هذه — ان حسنت النية فيها — اضعافا كثيرة لعلها تزيد على سبع مئة ضعف ، الا وهي سكة الحديد الالمانية بين الاسنانة والعراق من شروط هذه السكة أن الشركة الالمانية تملك عشرين ألف متر (٢٠ كيلو) عن جانبيها ملكا خالصا ، فعشرون الف متر تمتد من أقصى مغرب المملكة الشبالي الى أقصى مشرقها الجنوبي ، يكون مملكة كبيرة في قلب المملكة العثمانية ، مساحتها ضعفا مساحة الارض التي تزرع في المملكة المصرية ، وهي منها في أعز مكان ، كالقلب من بدن الانسان ، فكما ان القلب مصدر الحياة للبدن كذلك تكون هذه السكة مصدر الثروة والقوة وال عمران في المملكة ، فكيف يعيش من يكون قلبه في قبضة أجنبي عنه . وقد كانت بريطانيا العظمى على قوتها تمد وصول هذه السكة الى الكويت أو البصرة خطرا على مصالحها التجارية في العراق وخليج فارس ، بل خطرا على ممالك الهندية . أفلا تكون هذه السكة في قلب مملكتنا

خطرا عليها؟ بلى انها وهي لغيرنا أعظم الاخطار لو كانت غفلا من ذلك الشرط ، فكيف تكون مع ذلك الشرط؟

قرأنا في أثناء هذه الحرب أخبارا عن الألمان تدل على ان امتلاكهم لقليل من الارض في غير بلادهم أعظم خطرا عليها مما كان لا يستنبطه الا أبعد السياسيين رأيا وأشدهم فطنة وحذرا .

قد امتلاك بعض الالمانيين أرضا في فرنسا وبلجيكة فظهر بعد الحرب أنها أعدت في وقت السلم لحرب أهل البلاد التي هي فيها، فكان منها خنادق وسراديب وهواضع لنصب المدافع الضخمة ، حتى قيل إن مكانا أعده رجل ألماني في بلجيكة للعب الكرة في داره ظهر بعد الحرب انه أعد لنصب أثقل المدافع وأقواها، وأنه وضع على البعد المناسب بينه وبين الحصون البلجيكية وما كان يمكن دكها وتدميرها الا منه كنا قرأنا في المقطم ان من شروط التحالف بين ألمانيا والدولة العثمانية أن الاولى لا ترضى بعقد صلح الا اذا اشترط فيه سلامة أملاك الثانية ، وأنها تعطياها خمس الغرامة الحربية التي ترجو أن تأخذها ، على كونها هي التي تقدم لها السلاح والذخيرة والمال لاجل الحرب . وقرأنا وسمعنا أنها وعدتها ببلاد القوقاس وغير القوقاس من البلاد الاسلامية . وكنا نفضل على كل هذه العطايا الغيبية لو اشترطت عليها الدولة أن تبطل من شروط سكة الحديد البغدادية امتلاك عشرين ألف متر عن جانبها . اذا لم يمكن ان تترك لها هذه السكة كلها ، فان كون قلب بلادنا خالصا لنا أهم وأنفع لنا من ضم بلاد أخرى إليها . فلأن أملاك مئة فدان من الارض ملكا خالصا أستطيع أن أعمرها كما يجب ، أفضل وانفع لي من ألف فدان فيها حقوق للاجانب الذين يستطيعون من عمارتها ما لا أستطيع ، ويخشى أن يوؤل أمرها كلها اليهم . على ان بلاد الدولة أوسع من بلاد عدة دول من الدول الكبرى ، فلو عمرت لسكانت غنية بها عن سواها

فنحن نتمنى لو تقترح الدولة على حليفتها القوية ان تعطيا هذه السكة أو تلغي من شروط امتيازها ذلك الشرط لتجعل هذا دليلا على اخلاصها في محالفتها ورغبتها في بقائها مستقلة قوية بمد انتصارها معها ، والا كان الخوف منها أكبر من الرجاء فيها ،